مجلة الحكمة للدراسات الأدبية و اللغوية
Eissn :2600-6421 Issn : 2353-0464
المجلد 7 / العـــدد: 02 (2019)، ص 36 -51

الشعر الجزائري من حداثة المبنى إلى تجاوزات ما بعد الحداثة

-قراءة في ديوان سحر العيون لمحمد كنتاوي-

Algerian poetry from the modernity of the building to the excesses of postmodernism

Reading in the book "The Magic of the Eyes" by Muhammad Kentawi-

د. سمية قندوزي[1]

[1]جامعة الجزائر 2 "أبو القاسم سعد الله"- الجزائر.

تاريخ الاستلام: 2019/06/15 تاريخ القبول: 2019/06/26 تاريخ النشر:2019/07/01

ملخص:

خاض الشعر الجزائري مغامرة إبداعية متميزة، عرف من خلالها كيف ينتقل من مرحلة إلى أخرى باحثا عن آليات وتقنيات جديدة، تحقق التميز، وتضمن له انخراطا معمقا في جوهر المجتمع الجزائري وقضاياه التي تعرف وتضمن له انخراطا معمقا في جوهر المجتمع الجزائري وقضاياه التي تعرف تطورا متسارعا.

اتجه النص الشعري المعاصر إلى فكرة المغامرة والتجاوز المغاير، من خلال خلق نص حداثي منفتح على تعدد القراءات، وقد تميز النص الشعري لمحمد كنتاوي بالخروج عن المألوف وخلق المغاير، لذلك سنسلط الضوء على خصوصية البنية الدلالية والأبعاد الرؤيوية والسمات الجمالية ، وذلك من أجل الكشف عن أهم مظاهر التجريب في ديوان سحر العيون، من خلال الإجابة على الإشكالية الجوهرية التالية:

ما هي أهم الأنساق الجمالية التي ميزت ديوان سحر العيون؟ وما هي أهم ملامح ومظاهر التجريب التي لجأ إليها الديوان..

كلمات مفتاحية: الشعر، التجديد، مابعد الحداثة، تداخل الأجناس، الرؤية الشعرية.

Abstract:

Algerian poetry embarked on a distinguished creative adventure, through which it knew how to move from one stage to another,

searching for new mechanisms and technologies that achieve distinction, and ensure that it is deeply involved in the essence of Algerian society and its issues, which are rapidly developing .

The contemporary poetic text has tended towards the idea of adventurous and contradictory transcendence, by creating a modernist text that is open to the multiplicity of readings, and the poetic text of Muhammad Kantawy was distinguished by deviating from the ordinary and creating the contradictory, so we will shed light on the specificity of the semantic structure, the visionary dimensions and the aesthetic features, in order to reveal the most important The manifestations of experimentation in the Diwan of Sihr Al-Oyoun, by answering the following essential problem: What are the most important aesthetic patterns that characterized the Diwan of Sihr Al-Oyoun? What are the most important features and manifestations of experimentation that the Bureau has resorted to.

Keywords: Poetry. renewal. postmodernism. , inter-ethnicity. , poetic vision.

إن التطورات الحاصلة في الحياة الإنسانية قد أدت بالضرورة إلى تحولات مارست التغيير والخلق على الحياة الأدبية والشعرية الحديثة، فنسج الشعر فيها وصيغ على نحو باعث للإمتاع والمؤانسة كونه نسجا للقول الرفيع المعبر عن شطحات الخيال وأطياره المحلقة في العوالم بدون حدود (عبد الملك مرتاض، 1986، ص 36.)، بخصوصية تركيبية أساسها الإحساس والجمال والتناغم والانفعال الظاهر في أعماق الذات.

خصوصية الشعر العربي تبرز من خلال تفنن القدماء في دواوينهم التي تبناها المقلدون وأبدع من خلالها المحدثون ليصدق قول البارودي فيهم حين قال:"لمعة خيالية يتألق وميضها في سموات الفكر فتنبعث أشعتها إلى صحيفة القلب، فيفيض بلآلئها نورا يتصل خيطه بلسان فينفث بألوانه الحكمة ينبلج بها الحالك ويهتدي لديها السالك،

وخير الكلام ما ائتلف ألفاظه وائتلفت معانيه وكان قريب المأخذ، بعيد المرمى سليما عن مراجعة الفكر، فهذه هي صفة الشعر الجديد"(محمد بنيس، 2001، ص 79).

وبهذا يتخذ الشعر انعطافا بارزا عصف ببنيته المتعارف عليها، ولقد جاء هذا الانعطاف في الحقيقة بمثابة الصدى المباشر للمفارقات التي هزت الذات العربية (محمد لطفي اليوسفي، ، 1996، ص11).

إن التغير الحاصل في الشعر العربي من ناحية الأشكال والمضامين اتسم بالخلق والإبداع، حيث كسرت فيه اللغة ذلك المألوف والمعهود في النظم الشعري، وبعثت فيه لمسات تركيبية وتصويرية تتخللها تقنيات فنية مبتكرة، دفعت بالحداثة دون الاكتفاء بما ستجد بل البحث الدائم عن الجديد آخر منفتح على رحابة رؤيوية حديثة ومواقف حداثية تجلت في القصيدة الجديدة بجمالياتها اللغوية الكاشفة والمجددة المنطلقة من رؤيتها، ويلجأ فيها الشاعر إلى التعامل مع الموسيقى واللفظ والصورة تعاملا جديدا(عز الدين إسماعيل ، 1981، ص 239).

يعتبر أدونيس الشعر الجديد رؤيا و تمردا على الأشكال والطرق الشعرية القديمة، لديه معنى خلاق توليدي لا معنى سردي وصفي، فالشعر الجديد نوع من المعرفة التي لها قوانينها الخاصة ، وهو عودة لوضع معنى الظواهر من جديد (أدونيس ، ط6، ص 151).

إذا كانت الحداثة انتقالا تعبيريا عن رؤية جسدتها الصورة واللغة والإيقاعات كان لابد من البحث عما يعيطها أبعادها الرؤياوية والحقيقية كونها نظرة حسية تجزيئية للأشياء تقف عند المظاهر الخارجية، أما الرؤيا فتتجاوز الظاهر إلى الباطن لتكشف علاقة جديدة تعيد على ضوئها ترتيب الأشياء ثانية ووضع عالم جديد(فاتح علاق ، 2005، ص 116)، بعوالم إنزياحية وخلق لغوي متحرر يحدد مصير القصيدة في شكل رؤياوي ينشد جمالية القول ومصداقية التعبير عن الوجود فيتمكن المبدع من صياغة وجسدنة عالمه بطريقة فنية تجديدية، عمادها الرؤيا كجوهر للخلق والإبداع التفردي القائم على خلفيات التجربة الحياتية والذاتية كما يربطه أدونيس بالتحرر من

السائد والمألوف فهي تجاوز للمفهومات السائدة وهي تغيير في نظام الأشياء وفي زاوية النظر إليها (فاتح علاق ، 2005، ص118) .

ينبني الشعر العربي بتركيبة حداثية تحرص فيها اللغة على فكرة التغيير والتجديد الإبداعي فتتجلى فيه الصورة والرؤيا لمسات تجديدية لا على حساب القديم أو تقليدا له وإنما تطويرا وتجديدا للحياة فيه، فبعدما أصبحت الرؤية منعطفا جديدا يتطلب التعبير عنه بواسطة التعابير الحداثية و إقصاء التعابير المستنفذة والصور الجاهزة المألوفة التي فقدت وهجها.

لجأ الشعراء المحدثون إلى البناء المدهش و التركيب المغاير الذي مثل الجزء الذي يشكل مفاتيح متعددة للعالم الشعري، وهي بؤرة الرؤيا الشعرية لأنها تشكل مسار هذا التجديد، فيصبح العالم في أشيائه وعلاقته ميدانا فعالا جديدا أي أن الصورة هي التي تؤسس الدهشة والمفاجأة داخل العمل الشعري (محمد حمود، ط1، 1996، ص 100).

عجزت الصورة القائمة على البيان عن تحقيق ذلك التغيير بأبعاده الفنية، لأن التجربة الحديثة هي نهج شعري متميز ينبني أساسا على إعادة النظر في مفهوم الشعر ووظيفته (محمد لطفي اليوسفي، 1996، ص11.)، وهذا ما يسعى شعراء الحداثة إلى تحقيقه كونه لا يعيش التجارب من السطح بل إنه يحاول أن يستبطن هموم الإنسان وقضايا العصر مما يجعله قريبا إلى النفس البشرية.

التجربة الشعرية الجديدة رؤية فنية قائمة على الإحساس، والانفعال والخلق اللغوي المستمر في شكل حركة إبداع تماشي الحياة في تغيرها الدائم ولا تكون وقفا على الزمن دون آخر، فحيثما يطرأ تغيير على الحياة التي نحياها تتبدل نظرتنا إلى الأشياء، يسارع الشعر إلى التعبير عن ذلك بطرائق خارجة عن المألوف (محمد بنيس، 2001، ص 35.)، ضاما مختلف مفاهيم الحداثة من حقيقة و خيال وتقديم ، وجعلها تتفجر خلقا لغويا لا ينضب شقت مجاريه الإبداعية أنفس الشعراء، وحررت صمتهم وروت ظمأهم في البلاد العربية عموما والجزائر خصوصا، لأن حركتها الشعرية ذات اتصال

بنظيرتها المشرقية العربية، فقد مروا بنفس المراحل التي عرفها الشعر العربي ولمست نفس مراحل التطور الطارئة.

الشعر الجزائري لم يبق على حالة واحدة من حيث لغته وصوره ومضامينه، وإنما حدثت تطورات متفاوتة في إطار الشكل العمودي نفسه، فقد ظل الشعر الجزائري محافظا قبيل الحرب العالمية على سماته اللغوية والموسيقية والتصويرية والموروث، أما بعدها فقد عرف انطباعا مغايرا لما سبق، خلفته آثار الحرب في نفوس الجزائريين، أي انه يمكننا القول أن منابع القول الجزائري قد نبضت في أرض الجزائر، وجفت مجاريها منذ أن أتت الأحداث التاريخية الدامية على بقايا الدولة (عبد الله حمادي، ، 2001).

عرف الشعر الجزائري التغيرات نفسها التي عرفها الشعر العربي، مع اختلاف زمني مرحلي تطوري، من الكلاسيكي، فالرومنسي، ثم الشعر الحر، الذي لم يجد تربة خصبة لنموه في أرض الجزائر بسبب اهتمام الشعراء الجزائريين بكتابة الشعر باللغة الفرنسية، بعيدا عن الترجمة الأدبية، فقد عمدوا الى الاقتداء بآداب الغرب والنسج على منوالهم مما زاد من تضييق الخناق على الإبداع باللغة العربية ((عبد الله حمادي ، 2001).

انتقل الشعر بعد ذلك للتعبير عن مسيرة الحركة الوطنية، إلى أن سيقت الحركة الشعرية إلى أبواب التجريب بخطى أثقلها الاستعمار وشل حركتها فصمت عنها روادها أثناء الثورة، وهبت من وراء الحدود الجزائرية أصوات شعرية شبانية، دوى عطاؤها للتعبير عن حريتها الفكرية وثقافتها الأدبية التي أثرت الشعر في الجزائري، وقد بلغ نتاج هؤلاء الشعراء قمته، فذاعت التجربة الشعرية الجديدة وتميزت برؤية شعرية في طبيعتها ، عرفت قفزة خارج المفاهيم القائمة، تمثلت في تغيير في نظام الأشياء وفي نظام النظر إليها، فالشعر الحديث يعنى بالكشف عن عالم يظل أبدا في حاجة إلى الكشف (محمد حمود، 1996 ، ص 63).

أخذت الحركة الشعرية التجديدية طريقها التطوري الفني، بعودة روادها الأوائل للنسج على منوالها، الذي استمر عطاؤهم في مختلف الموضوعات الثورية والوطنية

والعاطفية والوجدانية والقومية والحضارية، اعتمدت على قضايا شعرية فنية متمثلة في اللغة والموسيقى والرمز، وهي المنطلق الحداثي، التطوري الذي انتهجه الشعر العربي، وحذا حذوه الشعر الجزائري، تحقيقا لأهدافه رغم العثرات والمطبات، ليخلص إلى مصاف الكمال الشعري، جنبا إلى جنب مع الشعر المشرقي، كجزء فاعل في الشعر المغاربي الذي لا يتجزأ بدوره عن شعرنا العربي، الذي تعد فيه الحركة الحداثية من حيث الجوهر حركة عريقة الجذور في رؤيا الشاعر تستمد عناصرها من الثورة الحضارية الشاملة، التي تجتاح وطننا العربي في الوقت الحاضر، ورؤيا الشاعر ليست هي المحتوى السياسي أو المضمون الاجتماعي، أو الدلالة الفكرية، إنها تنحت خصائصها من جماع التجربة الإنسانية التي يعيشها الشاعر في عالمنا المعاصر، بتكوينه الثقافي والسيكولوجي والاجتماعي، وخبراته الجمالية في الخلق والتذوق ومعدل تجاوبه أو رفضه للمجتمع، وطبيعة العلاقة بينه وبين أسرار الكون (غالي شكري، 1968 ، ص 76.)

1/ التجربة الشعرية الجزائرية الجديدة:

إن مسايرة الأدب العربي للتطورات الفكرية والاجتماعية التي شهدها العالم، كانت سببا وجيها في إحداث انعطاف تجديدي، مس الشعر العربي في مختلف مستوياته، محدثا فيه تغيرات فنية و شكلية، هدفها تصوير أبعاد الحياة المعاصرة، وتغيرها، عن طريق تكسير الثوابت وتحريك التراكمات الحاصلة فيها.

إن ما طرأ على الشعر العربي من تجديد، قد شكل امتداده واتساعه تأثيرات متباينة في الشعر المغاربي، وتواصل هذا التأثير وسلك مسالكه الإبداعية التي أعطت للشعر سمات جديدة، نأت به عما ألفه، فكانت القطيعة التي أعلنها الشعراء المعاصرون بالمغرب العربي، متأثرين بالحركة الشعرية المعاصرة في المشرق، عاملا مضيئا للوعي بدواعي التغير والتحول في زمن لم يعد يستسيغ القناعة والرضا، فكان الخروج عن البنية التقليدية للشعر العربي(محمد عزام، 2003، ص277) .

احتضن الشعر المغاربي التجديد متأخرا لأسباب اجتماعية وسياسية وثقافية، فأثر فيه وتأثر به حين التمس فيه نهضته وانبعاثه، ومن هذه الحركة النهضوية نالت

الجزائر نصيبا، باعتبارها جزءا من الوطن المغربي الكبير، فظهرت محاولات جادة أعادت للقصيدة رونقها وفصاحتها، حوت في طياتها لمسات تجديدية حظي بها الشعر الجزائري.

إن المتأمل في الشعر الجزائري المعاصر، يلحظ بجلاء إخلاص مبدعيه في سعيهم الدؤوب إلى خلق قصيدة جزائرية، بأبعاد وحيثيات تجديدية محضة، يلمس من خلالها الاقتباس والمحاكاة جراء التأثر بالشعر المشرقي، وكذا تطور البناء المعجمي والبناء التصوري المستعان فيه بالرمز، وكذلك الأسطورة لأن استعمالها في الشعر هو تقرب الشاعر نحو المشاركة الشعبية (.محمد ناصر، ص 577).

أدى هذا التحديث إلى تطور البنية الشعرية وتنميتها من خلال التحكم في أدواتها الفنية وطرائقها الصياغية المستوحاة من الثقافة المعاصرة، والمبرزة لقدرات الشاعر، وهو ما حدا ببعضهم عكس البعض عن الغموض، فكانوا إلى الوضوح أميل منهم إلى الإبهام، وتواصل العطاء الشعري الجزائري بخصوصية تجسد إبداعهم، معبرين فنيا على كل ما يحيط بهم في وطنه وخارجه، معتمدة كل القواعد النظمية المتجددة والمستجدة في الساحة الشعرية.

أخذت النزعة التجريبية المنبثقة عن الرؤية الحداثية في الأدب، منحى تصاعديا في الساحة الأدبية الجزائرية، انطلاقا من فكرة التميز والتجديد والاختلاف، واتجهت نحو الخرق والتجاوز، وتفجير وهدم كل ما هو قديم، ولم تقتصر ملامح الحداثة على الرواية بل تجاوزته إلى فن الشعر، وأصبحت ملاذ الشعراء الذين سئموا تلك القوالب الجاهزة، فثاروا على كل الأسس الأولى للقصيدة العربية، واتجهوا إلى فتح أغوار لم يصلها الشعر بعد.

التزم الجيل الجديد من الشعراء النزوع نحو التجريب الحداثي، وتجريب كل ما هو خرق وتجاوز وتغيير كل ما هو قديم و جاهز، خاصة جيل الشباب الذي لامس روح الحداثة، بسبب انفتاح العالم بفعل الثورة التكنولوجية، ولعله من نافلة القول ان نقول ان مصطلح التجريب ، وهو من أكثر المصطلحات الفضفاضة، التي يلفها الكثير

من الغموض، قد ساهم في تحديد التحولات المتسارعة في النص الشعري وتقديم قراءة مغايرة للكثير من المفاهيم.

يعتبر التجريب مصطلحا نقديا حداثيا يعزى إلى الدراسات النقدية المعاصرة على غرار الشعر والرواية والمسرح وباقي الفنون، فهو تحرير الشعر من القوالب النمطية الجاهزة، وكذا تقويض النمذجة ، والتمرّد على كل ما هو مألوف، لذلك نسعى في هذه القراءة إلى الكشف عن مظاهر التجريب و التحول في ديوان الشاعر محمد كنتاوي ، فماهي مظاهر التجريب من خلال ديوانه سحر العيون؟.

2/التجربة الشعرية عند محمد كنتاوي:

الشاعر محمد كنتاوي* (من مواليد 29 ديسمبر سنة 1978، كان مسقط رأسه في رقان ، وهي أعرق المناطق الموجودة في المنطقة، دخل الكتاب منذ الثالثة من عمره وأبهر شيوخه، تفوق في الإعراب قبل أن يدرسه، وهذا دليل على تمرسه العربية مبكرا، تحصل على شهادة الليسانس سنة 2001 في تلمسان، ثم على شهادة الماجيستر سنة 2007، وتحصل على شهادة الدكتوراه سنة 2015، يشتغل حاليا أستاذا محاضرا بجامعة أدرار في مقياس النحو والصرف.) أو كما يرد اسمه في الديوان (محمد كنتاوي، 2016.) (حمادة) ، كتب ديوانه " سحر العيون" بعد تحصله على شهادة الليسانس، لكن هذه الفترة اقتصرت على كتابة السفر الأول فقط، ثم كتب روايته الأولى " أيام من الشوق"، وفي سنة 2015، كتب الشاعر السفر الثاني من سحر العيون في مدينة قسنطينة إلا بعض الفصول كانت في مسقط رأسه رقان، وهذا يظهر جليا في ديوانه، لأنه كان يسجل دائما الحال والوقت بعد كل نصوصه، ثم أردف إلى ما سبق الأسفار الأخرى.

ديوان "سحر العيون" يسرد قصة حب شيقة بين البطل حمادة الزعيم المتمرد والعاشق، وحبيبته شيماء، في مجتمع محافظ إلى أقصى الحدود ؟، مجتمع متمسك بالأعراف لا يعترف بالحب، تدور أحداث القصة بسفر -(السفر مصطلح أورده الشاعر للدلالة على مرحلة) - افتراضي يبدأ بكلمة أحبك، وفي العادة تنتهي قصص الحب

بكلمة أحبك والبداية تكون مجهولة تظهر مع أسرار الحكي، وهنا الشاعر أورد استشرافا لما سيحدث بما توحيه كلمة أحبك.

تنطلق قصة حمادة وشيماء، عندما قالت: "حماده...أحبك، والظاهر أن دافع الشاعر للكتابة لم يكن بغرض الوصول للحبيبة لأنه وصل إليه في سفره المفترض الذي لا يعرفه إلا هو وشيماء، وإنما هو إفراغ طاقة أهلكت الشاعر مطولا، فكلما عزم على الكتابة وجد نفسه يكتب عن ما يؤرق قلبه، يقول الشاعر: " مضى وقت طويل... في آخر مرة كتبت فيها شعرا أو كلاما يشبه الشعر، ذلك لأني كلما عزمت عليها أجدني أكتب عن الحب والغرام والمأساة التي يجلبانها..." (محمد كنتاوي، ص 21.).

ينبض الديوان الشعري" سحر العيون " بمشاعر الحب من أول كلمة في الديوان، ويظهر جليا أن الشاعر يحرص منذ البداية على حمايته ورعايته من المجتمع والعواذل، لضمان استمراره، لذلك يضطر حمادة الى دفن حبه ضمن الأسرار، ليحمي حبيبته وحبه وقلبه، ونصادف هذا من الجرعة الأولى، والمقصود هنا من الجرعة هو الفصل، والشاعر لجأ لهذا المصطلح للدلالة على أنها أبيات قليلة، وهي جرعات متتالية، فيقول الشاعر: "لأنك سر لدي...أداريه عني...عن الناس حولي عن العالمين...لكي لا يشيع.. فيعرف عني بأني: أحبك.." (محمد كنتاوي، ص26)

ادرك الشاعر في مساره الشعري أن التحدي الحقيقي هو الاعتراف و المكاشفة، فيقرر الخروج من هذه المتاهة، ويعلن حبه للملأ، فيقول: " الآن قلبي ليس قلبي...ليس في صدري اعلمي... ودعي الزمان وكل من حولي وحولك يعلمون..."(محمد كنتاوي، ص196.)

يعد ديوان سحر العيون تجربة شعرية رائدة، أمل الشاعر فيها نقل تجربته الذاتية، ورؤيته الإنسانية لمعنى الحب، عبر فيض من الأدوات والوسائل الفنية، التي استند فيها عروضيا الى البحر المتقارب، وهو البحر الشعري الذي غمر شعره بنسبة كبيرة، مع بعض التطعيمات الوزنية الايقاعية الاخرى .

3/ ملامح التجديد في ديوان سحر العيون لمحمد كنتاوي:

يعتبر الشاعر "محمد كنتاوي " أحد المجددين لهذا العصر، وهذا ما أشار اليه كاتب التقديم لديوان سحر العيون "فيلالي عراس"، حيث أشار الى أن الجزائر لم تكن يوما ضنينة بالشعر والشعراء، وها هي تبعث من صحرائها الشاسعة الرحبة شاعرا كتب شعره بحرارة أدرار، وبلظى لغة مشتهاة أهدتها له قسنطينة، ومتذوقا استمع لنبض صخرها، فتمخضت الأيام والسنوات لتنجب سحر العيون، الذي يعد تجربة شعرية رائدة، إنه عصر جديد سيبدأ مع سحر العيون (محمد كنتاوي، ص التقديم)، وقد أشار الشاعر نفسه إلى ذلك في الجرعة الثالثة عشر:

في قوله: ".. سأعلن مقدم عصر جديد.. محابره من دموعي .." (محمد كنتاوي، ص126)

وإذا كان الشاعر يستمد لبناته وسياجه من بيئته، فمن العجيب جدا عدم سلطوية الجانب التعليمي الأكاديمي على الشاعر محمد كنتاوي، فتراه إلى الشعراء المبدعين المتمردين أقرب منه إلى الشعراء النظاميين، غير أن له لمساته الخاصة ويستدعي القليل جدا من طرائقهم كما يقول:

" أسفي تولى عهد (ولى)

عهد (حتى)

عهد(قد)....

شديد الطول.. والتصريع والتصريح والتصريخ والتجريح –مثل الريح-" ((محمد كنتاوي، ص126.)

يتألف ديوان سحر العيون، من جرعات متتالية كما سماها الشاعر، وقد اختار الشاعر لها بحر المتقارب، ليضمن انتظام مشاعره على موسيقى البحر، فعولن فعولن فعولن فعولن، وسمى ما خرج عن المتقارب وخالفه منعطفا_ (منعطفا ثانيا، ومنعطفا آخر، ومنعطفا حادا)_، وبهذا خلق الشاعر مصطلحات خاصة بتجربته الشعرية ، لم نعهدها عند باقي الشعراء، فهي مصطلحات فنية أدبية جديدة، كما يشير إلى مصطلح السفر الثاني والثالث و الرابع والسفر الافتراضي للدلالة على الفصل.

4/ التجريب واختراق حدود الجنس الشعري في ديوان "سحر العيون لمحمد كنتاوي:

على الرغم من انه لا يمكننا الجزم، في مسألة الأسبقية بين التجريب وإذابة الحدود بين الأجناس الأدبية، وفيما إذا كان التجريب كنزوع وميل متأصل نحو الخروج عن السائد والمألوف، هو ما أدى إلى تهديم الحدود بين الأجناس الأدبية، أم العكس، إلا أن كلا الممارستين تلتقيان في كونهما تجاوزا وخرقا، كما تنشدان معا إحدى مظاهر الحرية، ونحن نميل إلى اعتبار التجريب والنزوع إليه هو الأصل، لأن ذوبان الحدود بين الأجناس يندرج ضمن التجريب، الذي ينطلق من رؤية فلسفية تقوم على تقويض المسلمات القديمة، باعتبارها عائقا أمام ارتياد آفاق جديدة في الكتابة.

وضمن المسعى لإذابة الحدود لم يعد تصنيف الأدب إلى جنسين (شعر ونثر)، كما ساد لردح طويل من الزمن، بل تلاشت الحدود على الحد الذي لم تعد مرئية بسبب التداخل، حيث يقول أوستن وارين " تميل معظم النظريات الحديثة إلى طمس التميز بين النثر والشعر(رينيه ويلك وأوستن وارين، ص 238.)

يمثل حضور السرد والتصوير المشهدي، ملمحا بارزا في الحساسية الجديدة في الشعر الجزائري، الذي حاول خرق الحدود بين الأجناس الأدبية، متكئة على الدعوات النقدية الثائرة على نقاء الجنس الأدبي، وسنحاول في هذا العنصر تتبع مدى الخرق الذي حدث بين الشعر والنثر، من خلال استعانة الشاعر محمد كنتاوي بتقنيات السرد كالحوار، والحدث والقصة، والمشهد والبناء الدرامي والسيرة الذاتية.

يشير الناشر في بداية الديوان بالقول انه أرسل مسودة أولى للأستاذ محمد كنتاوي، متعمدا ترك العنوان مفتوحا، بعد التنقيح، أعادها اليه وقد أثبت لفظة شعر تحت العنوان، وهذا ما ذهب إلية الأستاذ " عراس فيلالي"، في تقديمه للديوان، لكنه ينوه أن للقارئ حرية التساؤل، هل سحر العيون رواية شعرية؟، بما أن العمل يشتمل على كل دعائم الرواية بالمفهوم التقليدي للمصطلح، يحتوي على الحدث و الحبكة والعقد و الفضاء و الزمان والشخصيات، أم أنها مسرحية؟ بفصول وحوار ودراما

وديكور وأثاث، أم هي قصيدة مطولة نقل الشاعر فيها تجربته الذاتية؟، ولها ما للقصيدة من أوزان وقوافي، وخروق وانزياحات ولغة شعرية تأسر القارئ بموسيقاها وإيقاعاتها، قبل أن تأسرها بمعانيها ودلالاتها.

إن محاولة البحث عن التداخل السردي الشعري، بما هو أحد آليات التجريب وظواهره الأكثر حضورا في النص الشعري، تقودنا إلى البحث عن تجليات الحدث والحوار والزمان و المكان والراوي، والشخصيات، وذلك دون فقدان الشعر لشعريته التي تتولد من خلال الانزياح، ومحاولة تحطيم الحدود بين الجنسين الشعر والأجناس النثرية.

تتميز البنية السردية للنص الشعري "سحر العيون"، بوجود صوت الراوي (حمادة)، الذي يعرض الأحداث ويصور المواقف وفق رؤية ومنظور خاص به، حيث أصبحت القصيدة فضاء للحكي، ورصدا لحركات الشخصيات(شيماء و المجتمع..)، وتصويرا للأحداث والأمكنة والانفعالات والزمن، وكل هذا دون التخلي عن شعريته لحساب السرد التقريري، يقول الشاعر:

" وهذه الرسالة القصيرة

كأنها كبيرة..

كأنها خلاصة طويلة

لقصة الأميره

حبيبتي الجميلة

أولها أحبك..

وفي الأخير مثلها: أحبك

..... واسمك إسمي من الشين للياء والميم والمد ذاك الشموخ

أراه مبين...

وهمزة اسمك همزة وصال: أحبك

ونومك دهر طويل

أسافر فيه، أعاشر فيه

أباشر فيه الوصول إليك: أحبك..." (محمد كنتاوي ، ص 33/32).

يستعين الشاعر محمد كنتاوي في نصه الشعري بتقنيات السرد، وهو يحكي لنا قصة حبه وألمه، حيث يضم هذا النص شخصيتين أساسيتين هما (حمادة و شيماء)، كما يستضيف بعض شخصيات المجتمع الذي يمثله كثيرا بالآخر المضاد، كما تطالعنا الكثير من المقاطع الشعرية على تقنية الحوار ، وهي تمثل مشهدا أقرب ما يكون إلى الفيلم القصير جدا ، كما يظهر في قول الشاعر:

" تقول: حمادة حبيبي...

أنا لست نصفك أو بعض روحك، بل: أنت أنت ،أنت أنا في مكان بديل

أحبك

أرد على قولها فأقول: أحبك عمري الحبيب

أحبك أكثر من حب حبي

وحبك حبي

أحبك... كم تعلمين ...وكم تجهلين

لأنك كنت أنا كنت أنت... وبين اللغات، لنا لغة مشتهاة: أحبك"(محمد كنتاوي، ص 35)

كما يحضر أيضا الحوار الداخلي في قول الشاعر:

" وصوتك بعد المنام شجي... شهي.. كصوتك قبل المنام... حرام...حرام...فإنك مرهقة...ومتعبة.. وأثقل حبي عليك ...وكان سرا..فشاع..من القلب للشريان...وكل العروق وعاد

أراك ...تموتين دوما على وقع هذا الكلام مرارا... وتحيين دوما عليه...فأبكي عليك قبيل الممات وبعد الممات، وأبكيك بعد الحياة

أنوح بكل اللغات

ولي لغة مشتهاة: أحبك" (محمد كنتاوي، ص 43/42)

يحاول الشاعر من خلال نصه خلخلة اليقين والسائد، بالتجريب المستمر، والمحاولة المستمرة للوصول إلى النضج والاكتمال الذي تطلبه الكتابة، وما يؤكد هذا النزوع الى خلخلة وتهديم السائد، تلك الإشارة الواضحة التي وردت مرارا و تكرارا في نصه، لذلك نجد البطل الذي يتمازج فيه الراوي و الشاعر، يلجأ دائما إلى تهديم الحدود بين الأجناس الأدبية، هذه الحدود التي تظهر عنده وهمية، تكفي مفردات لتفض هدوءها.

كقول الشاعر مستعينا بالوصف السردي والحوار و الزمن و المكان :"

وسحر العيون..

من الله تلك العيون: حماده حبيبي

أبيحت لديك، وبين يديك:

أبيد الزمان وتلك السنون

فما عدت أشعر بالوقت يمضي

وما عدت أذكر كيف التقينا

ولا كيف نقضي...

هنا في المدينة..

تموت اللغات...جميعا

سوى لغة المشتهاة:

أحبك..." (محمد كنتاوي، ص 58)

من خلال ما سبق نخلص إلى أن حركة الشعر عند الشاعر محمد كنتاوي، اتجهت عن وعي باتجاه الثورة على الحدود بين الأجناس الأدبية، وتهديمها، بغية الإفادة من الإمكانيات التي تمنحها تقنيات السرد المتنوعة، فتأثث ديوانه بأغلب مكونات السرد من حكاية وحوار، وشخصيات، وحدث وصراع، مما ساهم في إزالة الحدود، وتقويض المركزيات، وتشتيت صفاء ونقاء الجنس.

مراجع الدراسة:

1. أدونيس، 2005 ، زمن الشعر، دار الساقي، بيروت.
2. رنيه ويليك أوستن وارين ، ترجمة محي الدين صبحيو حسام الخطيب، 1987، نظرية الأدب المؤسسة العربية للدراسات والنشر،لبنان .
3. حمادي عبد الله ، 2001،الشعر الجزائري الحديث منطلقاته وأبعاده، ملحق شعري لمجلة التبين، العدد 9.
4. مرتاض عبد الملك ، 1986، بنية الخطاب الشعري-دراسة تشريحية لقصيدة أشجان يمانية-، دار الحداثة للطباعة والنشرو التوزيع، لبنان ، ط1.
5. عز الدين إسماعيل، 1981، الشعر العربي المعاصر- قضاياه و ظواهره الفنية والمعنوية- ، دار العودة، بيروت، ط3.
6. غالي شكري، 1 968، شعرنا الحديث إلى أين؟، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط1.
7. علاق فاتح ، 2005، مفهوم الشعر عند رواد الشعر الحر، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق.
8. بنيس محمد ، 2001، الشعر العربي الحديث بنايته وإبدالاته التقليدية، دار توبقال للنشر، المغرب ، ط2.
9. محمد حمود، الحداثة في الشعر العربي المعاصر- بيانها ومظاهرها-، الشركة العالمية للكتاب، بيروت، لبنان، ط1، 1996.
10. حمود محمد ، 1996، الحداثة في الشعر العربي المعاصر-بيانها ومظاهرها-، الشركة العالمية للكتاب، بيروت، لبنان، ط1.
11. عزام محمد ، 2003، تحليل الخطاب الأدبي على ضوء، دراسة في نقد النقد، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق.
12. كنتاوي محمد ، 2016، سحرالعيون (جرعات متتالية متزايدة)، منشورات فاصلة، قسنطينة ،الجزائر.

13. اليوسفي محمد لطفي ، 1996، في بنية الشعر العربي المعاصر، سراس للنشر، ط3.

14. ناصر محمد ، الشعر الجزائري -اتجاهاته وخصائصه الفنية، دار الغرب الاسلامي، بيروت/ لبنان.